الإيضاح والشرح

في تفسير سورة الشرح

للشيخ الفاضل أبي بكر بن عبده بن عبد الله الحمادي

حفظه الله تعالى

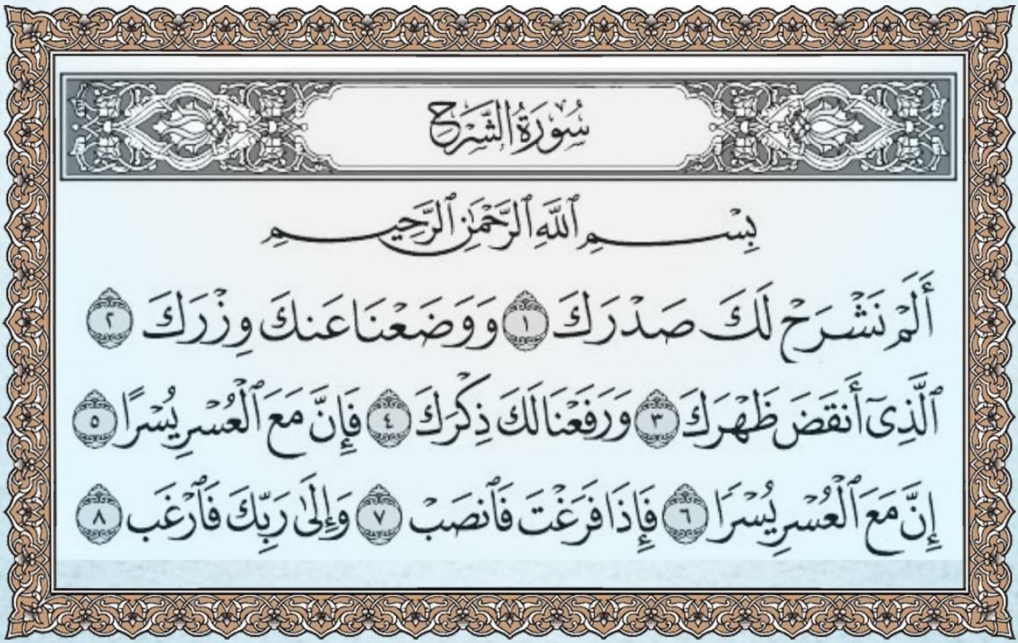

الإيضاح والشرح

في تفسير سورة الشرح

للشيخ الفاضل

أبي بكر بن عبده بن عبد الله الحمادي

حفظه الله تعالى

الإيضاح والشرح

في تفسير سورة الشرح

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أمَّا بعد:

فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة.

في هذه الليلة أحببنا أن نتدارس شيئًا من كلام الله ﷻ ونتأمل في معانيه، فإنَّ كلام الله ﷻ هو خير الكلام وأحسن الحديث كما قال نبينا ﷺ، فهو أحسن الحديث على الإطلاق، والله ﷻ يقول: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص:٢٩].

ويقول: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء:٨٢]. ويقول: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾ [القمر:١٧] إلى غير ذلك من الآيات التي يحث الله ﷻ عباده على تدبر الآيات المتلوة من كلام رب العالمين ﷻ.

سورة الشرح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ
وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ
﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا
فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ﴿٨﴾﴾

يقول ﷺ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾

هذه سورة عظيمة من سور القرآن، بيَّن الله ﷻ فيها الأمور العظيمة لمن تأملها وتدبرها، فقال ﷻ: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾ يخاطب ربنا ﷻ نبيه ﷺ ببعض نعمه التي أنعم بها عليه فقال:

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾ أي: قد شرحنا لك صدرك، وذلك أنَّ الاستفهام إذا اتصل بـ"لم" الجازمة أفاد تحقيق الفعل ووجود الفعل، وحصول الفعل، والاستفهام إذا دخل على النفي قرره، ولهذا ﷻ بعد ذلك عطف عليه الفعل الماضي فقال: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢﴾ ولم يقل: ونضع بالفعل المضارع، وإنَّما ذكر الفعل الماضي، فإنه معطوف على معنى ما سبق لا على لفظه، ومعنى ما سبق هو الفعل

الماضي، وهو وإن ورد بصيغة الفعل المضارع فيراد بذلك الفعل الماضي كما سبق.

إذًا معنى ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾ أي: قد شرحنا لك صدرك، وهذه منَّة عظيمة منَّ الله ﷻ بها على نبيه ﷺ، وذلك أنَّ من شرح الله ﷻ صدره فإنَّه يتَّسع لكل خير، فيتسع للعلم النافع، ويتسع للعمل الصالح، وينقاد لكل ما أمر الله به، ويبتعد عن كل ما نهى الله عنه، وإنَّما يتجه العبد للخير على قدر ما في صدره من الانشراح.

والانشراح معناه: الفتح والاتساع.

والله ﷻ شرح صدر نبيه ﷺ شرحًا حسيًا، وشرحًا معنويًا.

فأمَّا الشرح الحسي: فقد كان في صغره حين جاءه الملكان وشقا صدره ﷺ وهكذا في ليلة الإسراء والمعراج.

وقد روى مسلم عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَتَاهُ جِبْرِيلُ ﷺ وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ فَأَخَذَهُ فَصَرَعَهُ فَشَقَّ عَنْ قَلْبِهِ فَاسْتَخْرَجَ الْقَلْبَ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عَلَقَةً فَقَالَ هَذَا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ ثُمَّ غَسَلَهُ فِي

طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءِ زَمْزَمَ ثُمَّ لَأَمَهُ ثُمَّ أَعَادَهُ فِي مَكَانِهِ وَجَاءَ الْغِلْمَانُ يَسْعَوْنَ إِلَى أُمِّهِ يَعْنِي ظِئْرَهُ فَقَالُوا: إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ فَاسْتَقْبَلُوهُ وَهُوَ مُنْتَقِعُ اللَّوْنِ.

قَالَ أَنَسٌ: وَقَدْ كُنْتُ أَرْئِي أَثَرَ ذَلِكَ الْمِخْيَطِ فِي صَدْرِهِ».

وجاء في الصحيحين عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كَانَ أَبُو ذَرٍّ يُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «فُرِجَ عَنْ سَقْفِ بَيْتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ فَنَزَلَ جِبْرِيلُ فَفَرَجَ صَدْرِي ثُمَّ غَسَلَهُ بِمَاءِ زَمْزَمَ ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا فَأَفْرَغَهُ فِي صَدْرِي ثُمَّ أَطْبَقَهُ».

وشرح الله ﷻ صدر نبيه ﷺ الشرح المعنوي أيضًا، فجمع الله ﷻ له الشرح الحسي والشرح المعنوي.

والمؤمن له انشراح في الصدر على قدر إيمانه، وعلى قدر قربه من ربه ﷻ، وعلى قدر استقامته على دين الإسلام، قال الله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ

ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [الأنعام:١٢٥].

فالله ﷻ إذا أراد هداية العبد، شرح صدره للإسلام، فيفتح صدره للإسلام، ويوسع صدر العبد للإسلام، فحينئذ يقبل الإسلام ويقبل من أحكامه الإسلام وأوامره على قدر ما في قلبه من الانشراح والاتساع.

وإذا أراد الله ﷻ بالعبد الغواية، فإنَّه يضيق صدره ويجعل صدره ضيقًا حرجًا، أي: شديد الضيق، كأنَّما يصعد في السماء، أي: يتكلف الصعود في السماء، فإذا أُمر بأمر فإنَّ ذلك الأمر يكون شديدًا عليه، كأنَّما يكلف أن يصعد السماء من غير أجنحه، فإنَّ الله ﷻ لم يخلق الإنسان كالطير يطير بجناحيه، فيتكلف حينئذ الصعود إلى السماء وليس عنده آلة الصعود، فلا يتمكن من ذلك، فتصير أوامر الشرع ثقيلة عليه، شديدة على قلبه، وهذه حال كثير من الناس إلَّا من رحم الله ﷻ.

وهذه الشدة والضيق موجودة في الناس فيما يتعلق بأصل الدخول في الدين، وفيما يتعلق ببعض مسائل الدين، فإنَّ هنالك من الناس من يشرح الله ﷻ صدره للدخول في الإسلام، فيدخل في الإسلام، ويحافظ على أركان الإسلام التي أمره الله ﷻ بها، وقد يحافظ على بعضها ويفرط في بعضها، وذلك على قدر ما في قلبه من الانشراح، وقد يؤمر ببعض الأوامر فيجد الضيق الشديد في صدره، فما يستطيع أن يفعل تلك الأوامر التي أمره الله بها لما قلبه من الضيق.

وهكذا هناك من إذا أمر وحث على طلب العلم، وأن يجلس في مجالس العلم، وأن يحفظ شيئًا من كلام الله ﷻ، ويحفظ شيئًا من أحاديث رسول الله ﷺ فإنَّه يجد المشقة الشديدة، ولا يستطع أن يطلب العلم، وأمَّا إذا قيل له: اعمل كذا وكذا من الأعمال الشاقة: كالحفر، وحمل الحجارة، وغير ذلك من الأمور الثقيلة لفعل ذلك بكل سهولة ويسر، لكن إذا قيل له: ابق في مجالس الذكر ومجالس العلم، تعلم شيئًا من العلوم النافعة، وتفقه بشيء من دين الله ﷻ فإنَّه

يجد الضيق الشديد في صده، فلا يجد في صدره اتساعًا لذلك الأمر، فيستطيع أن يتحمل المشاق البدنية ولا يستطيع أن يتحمل مثل هذا الأمر، فهذا عبد ما أراد الله به الخير لأنَّ النبي ﷺ يقول: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ». متفق عليه من حديث معاوية رضي الله عنه.

فالذي أراد الله ﷻ له الخير، فإنَّه يوفقه للتفقه في الدين ويشرح صدره له.

والعلم كالماء النازل من السماء كما قال الله تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا﴾ [الرعد:١٧] فهو كالماء النازل من السماء، والقلوب كالأودية، فالوحي والعلم كالماء النازل، لأنَّ الماء النازل من السماء تحصل به الحياة، فتحيى به الأرض بعد موتها، وهكذا العلم تحيا به القلوب وتحيا به النفوس، فينزل الماء من السماء، وإذا نزل الماء من السماء فإنَّه يستقر في الأودية، وليست الأودية على حد سواء، فهناك أودية واسعة فتستقبل الشيء الكثير من ماء السماء،

وهنالك أودية متوسطة فتستقبل من الماء على قدرها، وهنالك من الأودية أودية ضيقة فتأخذ على قدر ما فيها من السعة، ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا﴾ هناك واسعة، وهناك متوسطة، وهناك ضيقة.

فعلى قدر ما في قلب العبد من الانشراح لدين الله ﷻ وللعلم، يكون استقباله للعلم أخذه له وانتفاعه به، كالأودية الواسعة، وكلما ضاق قلبه كلما قلَّ علمه، فلا ينال العبد العلم النافع إلَّا إذا انشرح صدره له.

ولا يستطيع العبد أن يستقيم على دين الله ﷻ إلَّا بانشراح الصدر كما قال الله تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الزمر:٢٢].

فشتان بين من شرح الله ﷻ صدره وبين من ضيق الله ﷻ عليه صدره.

ومن لم يشرح الله ﷻ صدره فإنَّه لا يستطيع أن يدعو إلى الله ﷻ، إذ كيف يدعو إلى الله ﷻ وفي قلبه ما فيه من الضيق وعدم الاتساع؟!.

فإنَّ من يدعو إلى الله ﷻ يواجه أنواع الناس، فيواجه أصنافًا شتى من الناس، فهنالك اللَّيِّن، وهنالك الشديد، وهنالك الحسود الحقود، وهنالك الملك، وهنالك الرعية، وهنالك الأغنياء، وهنالك الفقراء، وهنالك الغضوب، وهنالك الحليم، فالناس يتفاوتون كما تتفاوت أتربة الأرض، فإنَّ الله ﷻ خلق آدم من جميع تراب الأرض، فاختلفت لذلك طبائع الناس، واختلفت ألوانهم، واختلفت أخلاقهم، وكل ذلك لاختلاف تراب الأرض، فهنالك أرض سهلة لينة، وهكذا الناس، وهنالك أرض صلبة، وهكذا الناس، وهناك أرض ترابية، وهناك أرض صخرية وهكذا الناس فمنهم الصلب واللين، وهناك أرضة صبخة لا تنبت شيئًا، وهكذا الناس، وهناك أرض مباركة طيبة إذا وضعت الحبة أخرجت سنبلة في كل سنبلة مائة حبة، وهكذا الناس فهم يختلفون كما تختلف الأرض،

والله ﷻ يقول: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [الأعراف:٥٨].

وجاء في الصحيحين من حديث أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتِ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتِ الْكَلأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لاَ تُمْسِكُ مَاءً، وَلاَ تُنْبِتُ كَلأً فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقِهَ فِي دِينِ اللهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ».

إذا كان الشخص ما عنده انشراح في صدره فلا يستطيع أن يدعو إلى الله ﷻ، ولا يستطيع أن يعلم الناس الخير، ولا يستطيع أن يأمر بالمعروف وأن ينهى عن المنكر.

وهذه السورة سورة مكية، نزلت على النبي ﷺ في أول دعوته وهو بمكة، وقد واجه النبي ﷺ في أول دعوته في مكة أمورًا عجيبة، وأمورًا صعبة شديدة، لكن لما شرح الله ﷻ له صدره استطاع أن يتحمل الناس وأن يبلغ دعوة الله ﷻ.

وموسى عليه السلام حين يأمره ربه أن يذهب إلى رجل من أكفر الكافرين وهو فرعون، - ومعلوم حال فرعون، ادعى الألوهية وادعى الربوبية، وحصل منه ما حصل من الظلم لبني إسرائيل، قتَّل أبناءهم واستحيى نسائهم، وسامهم سوء العذاب، وموسى عليه السلام قتل رجلًا منهم وخرج من بلاد مصر كما هو معلوم- فيأمره ربه ﷻ أن يرجع إلى عدوه، وهو عدو الله ﷻ أيضًا، فيرجع إليه ويدعوه إلى الإسلام فقال موسى عليه السلام لربه ﷻ: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ٢٥ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ٢٦ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ٢٧ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ٢٨ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ٣٠ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ٣١ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ٣٢ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ٣٣ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ٣٤ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا ٣٥﴾ [طه:٢٥-٣٥].

فدعا ربه سبحانه أن يشرح له صدره، فإنَّ هذه الدعوة تحتاج إلى رجل قد شرح الله صدره، فيدعو فرعون إلى أن يدخل في الإسلام، وفرعون معروف حاله كما سبق.

﴿وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي ﴿٢٦﴾﴾، والتيسير من الله ﷻ، فإنَّه لا يستطيع القيام بتلك المهمة، مهمة النبوة والرسالة إلَّا بعون من الله ﷻ، كما قال الله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [الفاتحة:٥] فالإنسان يدعو ربه أن يشرح له صدره ويدعو ربه أن يعينه، فإنَّ الاستعانة بالله ﷻ من أوجب الواجبات، وهي نصف الدين، فالدين نصفه عبادة ونصفه توكل واستعانة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾، وقال: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود:١٢٣].

فدعا موسى عليه السلام ربه بهذا الدعاء ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي ﴿٢٦﴾﴾.

والنبي عليه السلام كان كذلك، فشرح الله ﷻ صدره وصدر موسى عليه السلام.

وقد قال الله تعالى في شأن نبيه محمد ﷺ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران:١٥٩].

فما لآن لهم إلَّا برحمة اله ﷻ، وما لآن لهم إلَّا بعد أن شرح الله صدره.

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾.

والمراد بالفظ هو فظ اللسان.

ومن كان فظ اللسان وغليظ القلب، فإنَّه لا يوجد في قلبه اتساع وانشراح.

﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ فإذا أساءوا في حقك فاعف عنهم، وإن أساءوا في حق ربك فاستغفر لهم، فإنَّ من عاشر الناس لا بد أن

يجد من يسيء إليه، ويجد من يسيء إلى ربه بالذنوب والمعاصي، فقال له ربه ﷻ: ﴿فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ﴾.

أي: إذا نزلت النوازل.

فهذا هو حال نبينا ﷺ شرح الله صدره فحصل ما حصل على يديه من الخير، وهكذا شرح الله صدر نبيه موسى ﷺ فحصل على يده الخير الكثير، وكان نبينا ﷺ يتأسى به كما جاء في البخاري عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ، آثَرَ النَّبِيُّ ﷺ أُنَاسًا فِي القِسْمَةِ، فَأَعْطَى الأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ مِائَةً مِنَ الإِبِلِ، وَأَعْطَى عُيَيْنَةَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَأَعْطَى أُنَاسًا مِنْ أَشْرَافِ العَرَبِ فَآثَرَهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي القِسْمَةِ، قَالَ رَجُلٌ: وَاللهِ إِنَّ هَذِهِ القِسْمَةَ مَا عُدِلَ فِيهَا، وَمَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهُ اللهِ، فَقُلْتُ: وَاللهِ لَأُخْبِرَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، فَأَتَيْتُهُ، فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: «**فَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ يَعْدِلِ اللهُ وَرَسُولُهُ، رَحِمَ اللهُ مُوسَى قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ**».

فأوذي موسى عليه السلام الأذية الشديدة من جهة فرعون وآل فرعون، ومن جهة بني إسرائيل، ومع هذا صبر لأنَّ الله شرح صدره. ﴿قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ٢٥ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ٢٦ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ٢٧ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ٢٨﴾ [طه:٢٥-٢٨].

وفي هذه السورة يقول ربنا سبحانه وتعالى لنبيه عليه السلام: ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ١﴾، وهذه نعمة عظيمة أنعم الله سبحانه وتعالى بها عليه.

وقوله تعالى:

﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢﴾

الوزر هو: الإثم. أي: أنَّ الله ﷻ غفر له ذنبه كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢﴾ [الفتح:١، ٢]، وهذه نعمة عظيمة أنعم الله ﷻ بها على نبيه ﷺ، حيث غفر له الذنوب المتقدمة والمتأخرة.

وقوله:

﴿ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ ٣﴾

أي: أثقل ظهرك فصار له نقيض أي: صوت.

وأصل ذلك من الإبل فإنَّها إذا حمِّلت الشيء الثقيل سُمع منها صوت وهو: النقيض لشدة الحمل، فبين الله ﷻ أنَّ الذنوب لها ثقل على الظهر فمن أجل ذلك وضعها رب العالمين عن نبيه ﷺ، وحطَّها عنه كما يحط الثقل من ظهر البعير الذي قد أثقله وأعياه.

فحط الله سبحانه عنه ذلك، وغفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وهذا مما يدل على أنَّ الذنوب لها ثقل، لكن هناك من يشعر بها، وهناك من لا يشعر بها، وكما قيل: إنَّ المؤمن ينظر إلى ذنوبه كأنَّها جبل يخشى أن تقع عليه، والمنافق ينظر إلى ذنوبه كأنَّها ذباب وقع على أنفه فقال به هكذا، أي ذَبَّه فطار، فالمؤمن يشعر بثقل الذنوب على قلبه، وعلى روحه ونفسه، فإذا أذنب ذنبًا يبقى كئيبًا حزينًا كأنَّه قد تحمل الأشياء الثقيلة، فلا يستريح إلى إذا انطرح بين يدي ربه ﷻ

ساجدًا داعيًا مستغفرًا تائبًا لربه ﷻ، فيجد أنَّ الحمل يخف من نفسه، ويجد شيئًا من الانشراح في قلبه وفي صدره كلما تذلل لربه وخضع واعترف بذنبه واستغفر ربه وأناب، ورجع إلى ربه ﷻ، فيجد ذلك الثقل ينقشع، وتزول تلك الكآبة الظلمة التي على روحه فيجد الخفة بعد ذلك بالتوبة والرجوع إلى ربه الله ﷻ، أمَّا المنافق فلا يشعر بذنوبه في الدنيا وإذا انتقل إلى ربه شعر بها.

وهي أثقل بثقيل مما يشعر بها المؤمن في الدنيا، فيجد ثقل تلك الذنوب وشدتها بما لا مقياس له باعتبار ما في الدنيا، فإنَّ ما في الآخرة أشد كما قال الله تعالى: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾﴾ [العنكبوت:١٣] أثقال عظيمة يحملونها ويأتون بها يوم القيامة.

وقال الله تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الأنعام:٣١] فيحملون ذنوبهم ويجدون ثقلها وشدتها في ذلك

اليوم لأنَّهم ما تخلصوا منها في الدنيا، وما أزاحوها في الدنيا عن ظهورهم فحملوها يوم القيامة.

وقد جاء في الصحيحين من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، فَذَكَرَ الْغُلُولَ، فَعَظَّمَهُ وَعَظَّمَ أَمْرَهُ، ثُمَّ قَالَ: «لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ بَعِيرٌ لَهُ رُغَاءٌ، يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ، لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ فَرَسٌ لَهُ حَمْحَمَةٌ، فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ، لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ شَاةٌ لَهَا ثُغَاءٌ، يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ، لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ نَفْسٌ لَهَا صِيَاحٌ، فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ، لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ رِقَاعٌ تَخْفِقُ، فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ، لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى

رَقَبَتِهِ صَامِتٌ، فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ».

فيحمل الناس أثقالهم على ظهورهم في ذلك اليوم العظيم.

وفي حديث يَعْلَى بْنَ مُرَّةَ الثَّقَفِيَّ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ أَخَذَ أَرْضًا بِغَيْرِ حَقٍّ، كُلِّفَ أَنْ يَحْمِلَ تُرَابَهَا إِلَى الْمَحْشَرِ». أخرجه أحمد في مسنده.

فالذي يأخذ أرضًا ظلمًا وليست له، لكنه يتقوى على الضعيف من الخلق بما معه من القوة، ومن المال، والجند والعشيرة والقبيلة، فيأخذ تلك الأرض ظلمًا، فيكلفه الله ﷻ بحمل ترابها إلى أرض المحشر، فيأخذ تراب تلك الأرض إلى سبع أرضين، فالواجب على الإنسان أن لا يحمل نفسه ما لا يطيق.

فما أخذه ظلمًا فهو ذنب يتحمله على ظهره، فالذنوب لها ثقل على الظهور، ويظهر ذلك الثقل وتظهر تلك الشدة، إذا انتقل العبد إلى ربه ﷻ.

وإذا حطها هنا سار إلى الدار الآخرة وهو خفيف المحمل من الذنوب والمعاصي، وانتقل إلى ربه بسرعة، وكان من المسارعين في العبور على الصراط، وذلك إنَّما ينجوا الإنسان على الصراط بسبب عمله الصالح، فإنَّ الله ﷻ يقول للعباد يوم القيامة عند المرور على الصراط: «انْجُوا بِقَدْرِ أَعْمَالِكُمْ» رواه الدارقطني في الرؤية.

وفي الصحيحين عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «فَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ جَهَنَّمَ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَجُوزُ مِنَ الرُّسُلِ بِأُمَّتِهِ، وَلاَ يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ إِلاَّ الرُّسُلُ وَكَلاَمُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ وَفِي جَهَنَّمَ كَلاَلِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ هَلْ رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ قَالُوا نَعَمْ قَالَ فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ غَيْرَ أَنَّهُ لاَ يَعْلَمُ قَدْرَ عِظَمِهَا إِلاَّ اللهُ تَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ فَمِنْهُمْ مَنْ يُوبَقُ بِعَمَلِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يُخَرْدَلُ ثُمَّ يَنْجُو».

فمن كان خفيفًا في الدنيا من الذنوب والمعاصي وكان كثيرًا من الطاعات كان أسرع في مروره وعبوره للصراط، ومن أثقلته الذنوب فإنَّه يثقل في سيره.

فالذنوب شؤم على العبد في الدنيا وفي الآخرة، فالله ﷻ منَّ على نبيه بهذه المنَّة وهي أن حطَّ عنه وزره الذي قد كان أثقل ظهره، فعلينا أن نرجع إلى ربنا ﷻ وأن نتوب إليه من ذنوبنا حتى يحط الله تعالى عنا تلك الأحمال الثقيلة، والتوبة إلى الله ﷻ من أوجب الواجبات: قال الله تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ [النور:٣١].

وقال: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾﴾ [الحجرات:١١].

وقول الله تعالى:

﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤﴾

هذا شرف آخر أيضًا ومنَّة من الله ﷻ لنبيه ﷺ وهو أن رفع له ذكره، فإذا ذكر العبد ربه ﷻ ذكر نبيه ﷺ معه، فإذا تشهد المتشهد في أذانه فإنَّه يأتي بالشهادتين، وهكذا في تشهده في صلاته، وهكذا الخطيب في خطبته يأتي بالشهادتين، وهكذا من أراد أن يدخل الإسلام لا بد له أن يتلفظ بالشهادتين، فيشهد لله بالألوهية ويشهد لنبيه ﷺ بالرسالة.

وفي كثير من آيات القرآن يذكر الله ﷻ نفسه ويذكر نبيه، فرفع الله ﷻ ذكره.

وفي هذا المعنى يَقُولُ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -:

أَغَـــرُّ عَلَيْـــهِ لِلنُّبُـــوَّةِ خَـــاتَمٌ
مِـــنَ اللهِ مَشْـــهُودٌ يَلُـــوحُ وَيَشْـــهَدُ

وَضَـــمَّ الْإِلَـــهُ اسْـــمَ النَّبِـــيِّ إِلَـــى اسْـــمِهِ
إِذَا قَـــالَ فِـــي الْخَمْـــسِ الْمُـــؤَذِّنُ أَشْـــهَدُ
وَشَـــقَّ لَـــهُ مِـــنْ إِسْـــمِهِ لِيُجِلَّـــهُ
فَـــذُو الْعَـــرْشِ مَحْمُـــودٌ وَهَـــذَا مُحَمَّـــدُ

ومن تمسك بسنة رسول الله ﷺ فله من الرفعة على قدر تمسكه بسنة نبيه ﷺ.

وانظروا فيمن مضى من أئمة الهدى، من الصحابة والتابعين، وأئمة الإسلام الكبار، الذين عرفوا بصدق الاتباع لسنة رسول الله ﷺ، كيف أنَّ الله ﷻ رفع شأنهم، وأعلى قدرهم، وإذا ذكروا ذكروا بالجميل، ويترجم لهم العلماء بالتراجم الحسنة الشيقة، ويتمتع الشخص في القراءة في تراجمهم، ويترحم عليهم، وإذا ذكروا في أنواع الكتب، من حديث وفقه وسيرة وغير ذلك، ذكروا بالرحمة والترضي، فيرفع الله ﷻ ذكر من تمسك بسنة النبي ﷺ على قدر تمسكه.

قوله سبحانه:

﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝٦﴾

وقال ﷻ بعد أن ذكر جملة من النعم التي أنعم بها على نبيه ﷺ: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝٥﴾، وهذه ليست لرسول الله ﷺ فحسب، بل هذه لرسول الله ولسائر أمته، وما سبق في أول السورة فإنَّه فضل ومنَّة من الله ﷻ لنبيه ﷺ، شرح الله صدره، وحط عنه وزره، ورفع الله ذكره، فهذه نعم أنعم الله بها ﷻ على نبيه، وقد ينعم بشيء من ذلك على غير نبيه، لكن للنبي ﷺ من ذلك ما هو الأكمل والأتم والأفضل.

قال ﷻ: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝٥﴾، وكَّدَ الله ﷻ هذا الأمر وهو حصول التيسير بعد حصول التعسير بقوله: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝٦﴾. قال العلماء: ذكر الله سبحانه تعالى يسرين وذكر عسرًا، وذلك لأنَّ أن العسر عُرِّفَ في الآيتين بـ (أل) العهدية فالمراد بالعسر الآخر العسر الذي سبق ذكر، وذلك أنَّ من عادة العرب إذا ذكروا اسمًا معرفًا ثم كرروه، فهو هو، وأمَّا اليسر فذكره الله ﷻ منكرًا،

فاليسر في الآية الأولى غير اليسر في الآية التي تليها، فهما يسران وعسر واحد، ولهذا يقال: لا يغلب عُسرٌ يسرين، فالعسر الواحد لا يغلب يسرين، والحديث الوارد في ذلك لا يثبت لكن معناه صحيح.

ونكَّرَ الله ﷻ اليسر والتنكير يدل على التفخيم والتعظيم، أي: أنَّه يسر عظيم وليس باليسير.

وإذا نزل العسر على العباد جاءهم بعده اليسر العظيم، فقوله: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥﴾ أي: يسرًا عظيمًا.

فعلى العبد أن يحسن الظن بربه ﷻ، وأنَّه كلما اشتد العسر كلما قرب اليسر، واليسر ليس بالهين بل يسر عظيم.

والله ﷻ لم يقل: وإنَّ بعد العسر يأتي اليسر، وإنما قال: ﴿مَعَ﴾.

﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾. فذكره الله ﷻ: ﴿مَعَ﴾. التي تدل على المصاحبة أي: أنَّ العسر يأتي مصحوبًا باليسر. قال العلماء: والمراد بذلك قرب الفرج واليسر، فكأنَّ الله ﷻ يقول للعباد للناس إنَّ الفرج واليسر قريب فلا تستبعدوه، ولقربه صار

كالمصاحب للعسر، قال الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾ [البقرة:٢١٤] فاليسر قريب وإن ظنه الشخص بعيدًا، فهوا قريب عند الله ﷻ، لكن يأتي في الوقت المناسب، فعلى العبد أن يحسن الظن بربه ﷻ، وينبغي أنَّه كلما اشتدت عليه الشدائد والمحن أن يعظم فيه الرجاء، فإنَّ من سنة الله ﷻ في الخلق أنَّ اليسر والفرج يأتي بعد اشتداد المحنة والبلاء، فلا يأتي اليسر غالبًا في أول الشدة، فهذه من سنن الله ﷻ الغالبة، فيأتي اليسر عند أن تبلغ الشدة المبلغ العظيم كما قال الله تعالى في الآية السابقة: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾.

فيأتي اليسر بعد أن تشتد الأمور شدة عظيمة لا تكاد تطاق، فيأتي بعد ذلك الفرج من الله ﷻ، فلهذا كلما اشتدت بك المحنة فاعلم أن اليسر قد اقترب، وكلما اشتد بك البلاء فاعلم أنَّ الفرج قد اقترب.

ولقد أحسن من قال:

وَلَـــرُبَّ نَازِلَـــةٍ يَضِـــيقُ بِهَـــا الْفَتَـــى
ذَرَعًـــا وَعِنْـــدَ اللهِ مِنْهَـــا مَخْـــرَجُ
ضَـــاقَتْ فَلَمَّـــا اســـتحكمت حلقاتهـــا
فرجـــت وكنـــت أظنهـــا لَا تُفْـــرَجُ

ولقد ابتلى الله ﷻ بني إسرائيل بالشدائد من جهة فرعون حتى قال قوم فرعون لفرعون: ﴿أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَـٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ

عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾﴾ [الأعراف:١٢٧-١٢٩].

بعد ذلك اشتدت الحال ببني إسرائيل، وأذن الله ﷻ لموسى ولبني إسرائيل أن يخرجوا من بلاد مصر، فخرجوا، وعلم بذلك فرعون فتبعهم، ونادى في العشائر والقبائل وحشر الناس من كل مكان كما قال الله تعالى: ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [الشعراء:٥٣-٥٦] فاتجهوا إلى موسى وبني إسرائيل، حتى وصل موسى ومن معه إلى البحر، وجاء فرعون ومن معه وتراءى الجمعان، صار موسى ومن معه يشاهدون فرعون ومن معه، والعكس بالعكس كما قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الشعراء:٦١] فبلغت الشدة بهم المنتهى، وقد كانوا صبروا على بلاء فرعون وجنده قبل ذلك، حيث قتلوا أبناءهم، واستحيوا نساءهم فأُذوا أشد الأذية فصبروا، لكن هذا أشد عليهم، فالبحر من أمامهم إن

دخلوا فيه هلكوا بالغرق، وإن بقوا أهلكهم فرعون وجنوده، فقد جاءهم وهو في غاية الحنق والغضب عليهم، فلن يترك منهم أحدًا، فإنَّه إذا كان قد آذاهم أشد الأذى قبل أن يفعلوا هذا الأمر، فكيف وقد حصل منهم هذا الأمر، فقالوا لنبيهم موسى عليه السلام: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الشعراء:٦١] فأجابهم موسى عليه السلام إجابة الواثق بربه: ﴿كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾﴾ [الشعراء:٦٢]، فقال ذلك واثقًا بربه وبوعده، وإن كان لا يدري من أين يأتيه الفرج، لكنَّها الثقة بالله ﷻ، فجاءه الفرج من الله ﷻ: ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾﴾ [الشعراء:٦٣-٦٨].

آية عظيمة من آيات الله ﷻ، وكم هي الأخبار والقصص في هذا الباب، ولا يتسع المقام لذكر ذلك، لكن عمومًا على العبد أن يحسن الظن بربه ﷻ، وليعلم أنَّه كلما اشتد البلاء وبلغ إلى حالة لا تطاق فإنَّ

الفرج قد اقترب، واليسر قد جاء ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾ هذا خبر من رب العالمين ﷻ، وهو خبر وكَّده رب العالمين ﷻ، وبالغ في بيان قرب اليسر بأنَّه كالمصاحب للعسر ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾.

وقال الله تعالى:

﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝٧﴾

أي: إذا فرغت من أمر دنياك، فانصب في عبادة ربك، ولا تلعب فإنَّ الدنيا ما فيها لعب، فالدنيا لم يخلقها الله ﷻ للهو واللعب، فإنَّ هذا خُلُق الكافرين كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٥٠ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا﴾ [الأعراف:٥٠، ٥١] فأمَّا المسلم فما عنده لعب، فإذا فرغ مما يحتاج إليه من أمور دنياه، فإنَّه ينصب في العبادة، أي: يتعب نفسه بها فإنَّ الراحة ليست في الدنيا، الراحة بعد الموت، أمَّا الدنيا فهي دار التعب والنصب، فيجتهد الإنسان في طاعة ربه ﷻ ويتعب نفسه في الدنيا من أجل أن يستريح في الآخرة ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝٧﴾.

وقوله تعالى:

﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب ٨﴾

أي: لتكن رغبتك لربك لا لغيره، والرغبة هي: الإمعان في الطلب، أي فلتكن شدة الطلب منك إلى ربك، لا تلتجئ إلى أحد من خلق الله ﷻ ممن ليس في يده شيء، الغنى والفقر بيد الله ﷻ، والعافية بيد الله، وجميع الأمور يسيرها رب العالمين ﷻ، فارغب إلى ربك، وأعظم الرغبة والطلب من ربك ﷻ ولا تلتفت إلى غيره من الخلق.

كانت المحاضرة في مركز التوحيد

المعاين - يوم الجمعة - ٣٠ ربيع الأول ١٤٤٣ من الهجرة.

المحتويات

المقدمة ٣
سورة الشرح ٥
بسم الله الرحمن الرحيم ٦
﴿ألم نشرح لك صدرك ﴿١﴾﴾ ٦
﴿ووضعنا عنك وزرك ﴿٢﴾﴾ ٢٠
﴿الذي أنقض ظهرك ﴿٣﴾﴾ ٢١
﴿ورفعنا لك ذكرك ﴿٤﴾﴾ ٢٧
﴿فإن مع العسر يسرا ﴿٥﴾ إن مع العسر يسرا ﴿٦﴾﴾ ٢٩
﴿فإذا فرغت فانصب ﴿٧﴾﴾ ٣٦
﴿وإلى ربك فارغب ﴿٨﴾﴾ ٣٧
المحتويات ٣٨

الإيضاح والشرح